مؤلفات العلامة الطويلعي (٢)

أيها المجاهدون ..

المنيّة ولا الدنيّة

للعلامة الأسير

عبد العزيز بن رشيد بن حمدان الطويلعي العنزي

من كبار علماء تنظيم القاعدة في جزيرة العرب

١٤٢٤

أيُّها المجاهدون ..

المَنِيَّةَ وَلاَ الدَّنِيَّة

كتبه:

عبد العزيز بن رشيد بن حمدان الطويلعي

(عبد الله بن ناصر الرشيد)

فهرس اجمالي للرسالة

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحابته والتابعين ، أمَّا بعد:

فهذه رسالة إلى خيار الأمَّة ، وحماةِ الدين والعرض ، وقادة المسلمين ، أحفاد أبي بكرٍ وعمرَ وخالد بن الوليد ، أسد الشَّرى ، وأبطال الوغى ، مَنْ لا حُرَّ بواديهم ، ولا عزيز بناديهم ، الَّذين كسروا أنفَ الكفر ، ومرَّغوا الصليب بالتُّراب ، وأذلُّوا الكفَّار فأعزَّ الله بهم المؤمنين.

رسالةٌ إلى المجاهدين في سبيل الله الذين يُجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائمٍ ، ولا يثنيهم عذل عاذل ، ولا تخذيل مخذِّلٍ متخاذلٍ.

آن الأوان ليقُولَ لكم أهل العلم ، حملتُه وطلاَّبُه : أنتم والذي لا إله إلا هو خيرٌ منَّا ، وأكرمُ وأشرفُ وأعزُّ وأتقى وأنقى ، وألزم لشرع الله وأتبع لسنَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأُمَّةُ إليكم أحوجُ ، وهي بكم أعزُّ وأقوى ، نسأل الله لكم قبول أعمالكم وجهادكم ، ونسأله لنا مغفرة ذنبنا بقعودنا عن الجهاد ، وتخاذلنا عنه ، مع الدعاوى العريضة ، والقلوب المريضة.

كما آن الأوانُ ، لنلحقَ بكم ، ونترسَّم خطاكم ، ونذوقَ من الخوف ما تذوقون ، ونبذلَ للجهادِ بعضَ ما تبذلُونَ ، وإذا أمرناكم بالاستسلام أن نمتنعَ ولا نستسلم ، وإن أمرناكم بالقتال أن نقاتل ونستبسل ، ولا نأمركم بشيءٍ إلاَّ عملنا به إن شاء الله ، مع الإقرار لكم بالفضل والاعتراف بالسابقة ، وغايةُ رجائنا أن يُلحقنا الله بمنازلكم ودرجاتكم.

أيُّها المجاهدون ، هذه رسالةٌ إليكم ، وقد اجتمع الكفَّار عليكم ، وائتمروا بكم ليقتلوكم ويسجنوكم يريدون ليوقفوا بذلك الجهاد ، والله متمُّ نوره ولو كره بوش وشارون وحسني ونايف.

أيُّها المجاهدون ، فلا تستسلموا لهم ، وتُسلموا أنفسكم إليهم ، وتمكّنوهم منكم ، وتجعلوا للكافرين سبيلاً عليكم ، بل قاتلوا ثمَّ عيشوا أعزَّةً ، أو موتوا كرامًا ، **والمنيَّة ولا الدنيَّة.**

لا تستأسِر:

الدخول في ولايةِ كافرٍ وتحتَ يده اختياراً محرَّمٌ ، ولذلك وجبتِ الهجرةُ ، وحرُمت تولية الكفّار المناصب على المسلمين ، ولم يصحّ تملّك الكافر لعبدٍ مسلمٍ ، {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً} ، و"الإسلامُ يعلو ولا يُعلى".

وقد استثنى أكثر أهل العلم حالةً واحدةً من هذه القاعدة ، هي ما بوّب عليه البخاري في صحيحه فقال: "**باب هل يستأسرُ الرّجُلُ؟ ومن لم يستأسر**" ، وخرّج فيه حديث العشرة الّذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنُذر بهم قومٌ من بني لحيان وأحاطوا بهم وعرضوا عليهم النزول في ذمّتهم ، فنزل من نزل من الصحابة في عَهدِ المشركين ، وقال عاصم بن ثابت : أمّا أنا فلا أنزل في ذمّة كافرٍ ، فقاتل حتّى قُتل.

قال الحافظ في شرح الحديث : " للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل ، أنفة من أن يجري عليه حكم الكافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن" ، وإلى التخيير ذهب جماهير العلماء ، إلاّ روايةً عن أحمد بتحريم الاستئسار للكفّار حكاها الآجرِّيّ ، وجاء عن أحمد : "**لا يعجبني أن يستأسر، يقاتل أحب إليّ، الأسر شديد ولابد من الموت**".

ففي هذه الصورة التي فيها الرُّخصة ، الأفضل بالاتّفاق هو الأخذ بالعزيمة ، وعدم الاستسلام لكافر ، لما في الاستسلام من المفاسد العظيمة ، قال الشهيد يوسف العييري رحمه الله : "ولأن استسلام المجاهد مع ما فيه من الانهزام وشيء من الذل وما فيه من كسر قلوب المسلمين ، وثلمةٍ في موقف المجاهدين ، وما فيه من سرور العدو وغبطته وشماتته بالمجاهدين والمسلمين عامة ورفع معنوياته ، مع ما في الاستسلام من جميع تلك المفاسد إلا أنه أيضاً لا يحقق للمستسلم ما خاف على نفسه منه وهو الموت فإنه سيصبر إلى قِتلة أشنع وأذل مما سيقتل عليها لو لم يستسلم هذا إن لم يمر قبل ذلك على التعذيب والتنكيل وانتزاع المعلومات التي قد تضر غيره" اهـ

والحاصل : أنّ فعل الصحابة الّذي بلغ النبي صلى الله عليه وسلّم فلم ينكر دليلٌ على جواز هذا وهذا ، في حقِّ من كانت حاله حالهم ، فهم عاجزون عن الفرار ، فما لهم إلاّ القتل أو الأسر ، كما أنّهم لم ينزلوا على حكم المشركين ، بل نزلوا بأمانٍ وميثاقٍ ، فهو من جنس المواثيق الجائزة ، وليس فيه

إلاّ جريان حكم الكافر عليهم ، فالرُّخصة المذكورةُ في ارتكاب هذا المحظور من علوّ الكافرين عليه ، لا فيما زادَ مما هو مقتضٍ للتحريم باستقلاله.

فلا يجوزُ له تسليم نفسه لكافرٍ إلاّ حين : **يعجز عن الفرار ، ويأمنُ الفتنة عن دينه ، ولا يخشى إفشاء أسرارٍ تضرُّ المجاهدين ، ويستوثقُ بأمانٍ لنفسه أو يأمنهم في غالب ظنِّه.**

فمن كان يستطيع الفرار وكانت لديه عورات المجاهدين وأسرارهم ، مع كونه لا يأمن في غالب ظنِّه أن تُستخرجَ منه بتعذيبٍ أو سِحْرٍ ، فلا يَجوزُ له أن يُسلِّم نفسه ، بل مثل هذا يجوز له قتلُ نفسه فيما أفتى به الشيخُ محمّد بن إبراهيم وغيره ، وأشرتُ إلى طرفٍ من أدلّتِهِ في نبذةٍ في العمليّات الاستشهاديّة ؛ فكيف يُجمع بين جواز قتله نفسه لخطورة الأسرار ، وجواز تسليمه نفسه والمخاطرة بهذه الأسرار؟

والحكومة السعوديّة حكومةٌ عميلةٌ مرتدّةٌ ، تولّت الكافرين ، وحمت المشركينَ وعبدة القبور ، وحكمت بغير ما أنزل الله ، وتحاكمت إلى الطاغوت ، وأقرّت المستهزئين بالدِّين ، وغير ذلك من النواقض ، وكلٌّ واحدٍ من هذه زادت عليه تغليظًا ، فزادت على تولِّي الكافرين تبرير ذلك وتسويغه ، ثمّ الافتخار به وإعلانه ، ثمّ معاداة من عاداه الكفّار وعاداهم ، وموالاة من داهنهم وتولاّهم ، ثمّ عقوبةُ من أعلن البراءة من الكفّار ، أو صدع بالحقِّ الّذي يكرهونه ، وقل مثل ذلك في سائر النواقض.

فلو كانت الحكومة السعوديّة حكومةً ذاتَ سيادةٍ ، ما جاز تسليم النفس لها لكفرها ، فكيف وهي عميلة لأمريكا أو وكيلةٌ لها ، وتسليم النفس إليها كتسليم النفس إلى أمريكا ، فالآمر بالقبض أمريكا ، والمستفيد منه أمريكا ، والمقصود الأوّل والأخير منه حماية أمريكا ومصالحها في المنطقة ، كما أنّ جميع ما يُستخرج من الأسير من معلومات يصلُ إلى أمريكا في وقتِهِ ، وقد افتخر بهذا أحد طواغيتِهم وأظنُّه بندر بن سلطان ، وأخبر أنّ عددًا من الخلايا والعمليات الجهاديّة أُحبِطت بمعلوماتٍ استخرجت من سجناء في السجون السعوديّة.

وتسليم المجاهد نفسه إلى الحكومة السعودية ، كتسليمه نفسه إلى حكومة حامد كرزاي ، أو حكومة الكويت ، أو مصر أو اليمن أو غيرها ، لا فرق بين ذلك كلِّه ، والمؤمنون كما وصفَهُم ربُّهم : أذلّة على المؤمنين ، أعزّة على الكافرين أشدّاءُ على الكُفّار رُحماءُ بينَهُم.

ولو فرض جدلاً أنَّ من طلب المجاهد حكومةٌ مسلمةٌ ، وتَعُومي عن النواقض العظام التي ارتكبتها ، وعن كونها لا تزيد عن وكيلٍ لأمريكا يطارد الناس تعبّداً لها ، لو تعومي عن هذا كلّه ؛ فإنَّ المطلوب لا يلزمه تسليمُ نفسه لكلِّ أحدٍ ، ولو كان الحاكم ، متى علم أنَّ طالبَهُ ظالمٌ ، فلو أنَّ أحداً جاء يُريد أخذ ماله ظلماً كان له أن يُقاتله بنصِّ حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح إذ جاءه رجلٌ فسأله : **أرأيت لو أنَّ رجلاً جاءني يُريد أخذ مالي؟ قال** : **فلا تعطه. قال** : **فإن قاتلني؟ قال** : **قاتله. قال فإن قتلني؟ قال** : **فأنت شهيد. قال** : **فإن قتلته؟ قال** : **فهو في النار.**

فالمسلم عزيزٌ بعزَّة الإسلام ، حرٌّ من رقِّ غير الله ، فمن دعاه إلى الاستسلام لله والانقياد لحكمه ؛ جاءه طائعاً مختاراً ، ومن دعاه إلى ملك فلان وسلطانه ، وجبروت فلان وطغيانه ، لا إلى حكم الله وشريعته ؛ لم يلزمه تسليم نفسه والاستسلام له ، فهو لا يسلم ماله إلاَّ بحقِّه ؛ فكيف بنفسه؟

أقسمت : إمَّا أن أعيش بعزةٍ بكرامتي ، أو أن تُدَقَّ عظاميا

وقد مدح عمرو بن العاص الروم بخصلة ، يراها كثيرٌ من الناس اليوم خروجاً على الحكّام وإحداثاً للفتنة ، والفتنة عندهم كلُّ ما لا يحبُّه الطاغية الظالم الجائر ، فضلاً عن الحاكم المرتدِّ الكافر ، فجاء في صحيح مسلم أنَّ المستورد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **"تقوم الساعة والروم أكثر الناس"** ، قال عمرو بن العاص : أبصر ما تقول. قال : أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، قال عمرو : لئن قُلتَ ذلك إنَّ فيهم لخصالاً أربعةً : إنَّهم لأحلم الناس عند فتنة ، وأسرعهم إفاقةً بعد مصيبة ، وأوشكهم كرةً بعد فرّةٍ ، وخيرهم لمسكينٍ ويتيمٍ وضعيفٍ ، ثمَّ قال : <u>وخامسةٌ حسنةٌ جميلةٌ : وأمنعهم من ظلم الملوك.</u>

فانظر كيف امتدحهم عمرو رضي الله عنهم ، بالامتناع من ظلم الملوك والإباء ، وفي لفظٍ من ألفاظ الحديث : وأقلُّهم صبراً على جور الملوك ، وانظر كيف لم ير ذلك مخالفاً لحلمهم عند الفتنة.

والاستدلال بحديث : " **اسمع وأطع وإن أخذ مالك وجلد ظهرك** " ، غلطٌ فاحشٌ ولو تُنزِّل بالتسليم بإسلام هؤلاء الحكّام ، فليس في الحديث الأمر بتسليم المال والنفس إليه ، ولا في المقاتلة دون المال مخالفةٌ للسمع والطاعةِ ، فإنَّه يُسمع ويُطاع في غير معصيةٍ ، ويُعطى ما هو حقٌّ له دون ما ليس

له بحقٍّ ، ونظيرُهُ بلا فرقٍ : قوله صلى الله عليه وسلم : وإن تأمَّر عليكم عبدٌ ، وإن كان عبداً حبشيًّا ، فليس في الحديث إعانة العبد على الإمارة ، أو السعي في تحصيله لها ، أو تركه يأخذها مع وجود الحر المستوفي للشروط ، وإنَّما فيه أنَّ الطاعة تلزم له متى تأمَّر ، وقوله : وإن جلد ظهرك وأخذ مالك ، ليس فيه تمكينه من شيءٍ من ذلك ، وإنَّما فيه التخويف من الخروج عليه لهذا الأمر ، والنهي عن إسقاط الولاية به ، والخروج لا يكون إلاَّ عند رؤية الكفر البواح على الصحيح.

والمجاهد يكفيه أن يعلم أنَّهم حين يطلبونه إنما يطلبونه ليعاقبوه على ما هو طاعةٌ لله لا شكَّ فيها ولا ريب ، بل على ما هو فرضُ عينٍ متحتِّمٌ عليه ، ثمَّ هم لا يحكمون في كثيرٍ من السجناء أصلاً ، ويُسجنون الشُّهور الطّوال ظلماً وجوراً ، ويحمّلون تحت وطأة التعذيب ما لم يفعلوه كذبًا وزوراً ، ثمَّ يحكم فيهم بعد كلِّ هذا بغير حكم الله الذي شرعه ، بل بما يقترحه المدعي العامّ مندوبُ وزارة الداخلية ، وما يراه القضاة.

وقد رأينا من جورهم سجنهم من سُجن من المشايخ والدُّعاة والمصلحين ومن معهُم عام 1415 ، بلا تهمةٍ ، ولا محاكمةٍ ، ثمَّ اشتراطهم على من خرج التعهُّد بالسُّكوت ، وما خرج سعيد بن زعير إلا قريبًا ، وفي السجون غيره ممن لم يحاكم ولم يحكم فيه : كأبي سُبيعٍ وليدٍ السِّناني فكَّ الله أسره ، وثبَّته وأعظم أجره ، وإن كانت جنايتهم على الأبدان بالسِّجن قد انتهت في كثيرٍ ممن سُجن ؛ فإنَّ جناياتهم عليهم بتغيُّر المبادئ والأقوال ، بل والأخلاق لم تنتهِ بعدُ ، وقد رأينا من كثيرٍ منهم عجبًا بعد خروجهم ، فاستحلُّوا الكذب واستسهلوه حتّى حُفظت عنهم كذباتٌ لا تأويل لها ، ووالوا الطاغوت الذي كانوا يسمّونه طاغوتًا ويشهدون عليه بذلك ، وتبرؤوا من الموحّدين المجاهدين ، وعابوهم في العلن على ما يحرّضونهم عليه في السِّرِّ ، وهؤلاء مبدأ أمرهِم أنَّهم سجنوا على طاعةٍ فعلوها ، وبلا محاكمةٍ دخلوها ، وآخر أمرهِم أنَّهم تعهَّدوا حين خرجوا بالسكوت عن الواجبات التي كانوا بها قائمين ، ثمَّ زادوا محاربةَ الجهاد والمجاهدين ، وتبديل شرائع الدين.

فإذا طُلب المجاهدُ فليتأمَّل هذا ، وأنَّه مطلوبٌ لأنَّه قام بفرض الله عليه ، ولو كان الجهادُ نافلةً من النوافل كان من الكُفر العظيم ذمُّهُ ، فضلاً عن العقوبة عليه ، فكيف وهو فرضٌ واجبٌ على الأمَّة؟ ثمَّ كيف في زمانِ تعيُّنهِ مع قلَّة القائمين به؟! ثمَّ هو مع هذا لن يحاكم ، وإن حوكم حُكِمَ بعقوبته على تلك الفريضة التي قام بها.

ثمَّ ليتأمَّل أنواع الفتنة التي سيُبتلى بها في السجن ، والسجن في نفسه فتنة ، عدا ما فيه من فتن الرغبة والرَّهبةِ ، وقد رأى الإخوة المجاهدون تغيُّر من تغيَّرَ دينُهُ ومنهجُهُ ومبادؤه التي كان عليها ، لا لدلالةٍ ظهرت له ولم يكن يفهمها ، أو حجَّةٍ علمها بعد أن لم يكن يعلمها ، بل تراه يتكلَّم بلا حجَّة ولا برهانٍ ، ويبني أقواله على ما لا يعتقدُهُ ، وما هي إلاَّ الفتنة ، نسأل الله الثباتَ والهداية والسداد.

ومتى طُلبَ المجاهد ليُفتن في دينه ، كان عليه الفرار ما استطاع ، والدفع ما قدر على الدَّفع ، وقد بوَّب البُخاريُّ في صحيحه : بابٌ من الدين الفرار من الفتن ، وذكر فيه حديث : يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتتبعُ بها شعف الجبال.

وقد خشيَ الفتنةَ على نفسِهِ من هو خيرٌ منكَ ، بل قد خشيَها إبراهيم عليه السلام حين قال : واجنبني وبنيَّ أن نعبدَ الأصنامَ ، قال بعض السلف: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟

ففرَّ ، واختفِ ، وقاتِل ، وادفع عن نفسِك : **ولا تستأسِر**.

ما هو السِّجن؟

عندما توعَّد فرعونُ موسى عليهِ السَّلام ، كان من وعيده له : {لئن اتَّخذت إلهًا غيري لأجعلنَّك من المسجونين} ، والسجن قطعةٌ من العذابِ ، كان من مكر مشركي قريشٍ بالنبي صلى الله عليه وسلم حين مكروا به همُّهم بسجنه {وإذ يمكُر بك الَّذين كفرُوا ليُثبِتوك أو يقتلوك أو يُخرجوك}.

وإذا كان السجن يعني هذا لكلِّ أحدٍ ، فإنَّهُ يعني للعاملين حبسهم عن عملهم للدين ، وجهادهم في سبيل الله ، ولا شكَّ أنَّ من سُجن بغير اختيارِهِ غيرُ ملومٍ ، بل هو مأجورٌ مثابٌ جارٍ أجرُهُ على ما كان يعمله ، وإنَّما المسألة في المتمكِّن من الفرار واستمرار العمل ثُمَّ يُسلِّم نفسه إلى الطواغيت يُعينهم على ظلمه ، وعلى سدِّ قناة الخير الَّتي أجراها الله على يده.

وإذا عُلم أنَّ السجن من العذاب ؛ فإنَّ دخوله من الفتنة ، حين يُغريه الطَّواغيت بالرَّغبة والرَّهبة ، وتحت وطأة السنين الطوال ، ولا ينبغي لحريصٍ على دينه ، خائفٍ عليه ، حذرٍ من الحور بعد الكور = أن يدخل هذه الفتنة ولا يدري أيسلمُ له دينُه أم لا؟

وكما تقدَّم في أنَّ ذلك من الدخول تحت يد كافرٍ وتصرُّفه ، والنزول على حكمه ، وإعطائه سبيلاً على المؤمنين ، فإنَّ ذلك في سجون اليوم أبلغُ وأكثرُ ، فهم يتحكَّمون في السجين حتَّى في أوقات دخوله الخلاء ، ووضوئه للصلوات وغيرها ، ويكونُ تحكُّمهم فيه أبلغ من تحكُّم ربِّ البيت في أسرته ، بل ربَّما أبلغ من تحكُّم السيِّد بعبيده ، فكيف يرضى الموحِّد أن يمكِّن عدوَّه من هذا السَّبيلِ عليه؟!

هذا لو كان السِّجنُ سجنًا مجرَّدًا ، فكيف وفيه ما فيه؟ كيف وفيه من العذاب والنَّكال ، ما يهدُّ الجبال؟

وإليك في هذا الفصل سردُ بعض وقائع التعذيب الأليم في سجون نايفٍ وإخوانه وأعوانه ، وشيءٍ مما في السجون من أحوالٍ وأهوال.

وقائعُ داميةٌ :

ليس من المستغرب أن يستعين نايف بن عبد العزيز بزكي بدر (عاملهما الله بما يستحقُّ)، وزير الداخلية المصري الأسبق ، أحد دهاقنة التعذيب ومنظِّريه في العصر الحديث ؛ فهما أخوان في الدين ، وفي عداوة المؤمنين ، وإذا لم يُستغرب هذا ، فلن يُستغرب أن يتّبع نايف سُنَّة الهالك غير الزكيِّ ، حذو النعل بالنعل ، واتِّباع الجعل للنتن ، في التعذيب ، وفي اختلاق الأكاذيب.

وقصص التعذيب التي يندى لها الجبين في سجون الطواغيت المتسلطين على بلاد الحرمين كثيرةٌ جدًّا ، وسنذكر هنا للتذكير فقط بعض الوقائع ، وأكثر شباب الجهاد ناله شيءٌ من هذا التعذيب أو لقي من ذاق التعذيب الأليم وسمع منه كثيرًا مما جرى له ، وسأذكر على سبيل المثال فقط : ثلاث وقائع ، في ثلاث قضايا ، في ثلاثة سجونٍ : الأولى في سجن الرويس في قضية تفجير العليا ، والثانية في سجن الدمام في قضية تفجير الخبر ، والثالثة في سجن عليشة في قضية تفجير فينيل ، وكلُّها ممَّا استثبتُّ منه ، ووقفتُ على صحَّته.

فمن أكبر مراكز التعذيب : محكمة التفتيش اليهودية المسماة سجن الرويس ، والذي يشرف عليه اللواء زقزوق ، أسأل الله العزيز ذا الانتقام أن ينتقم منه أشدَّ ما يكونُ الانتقام.

سجن الرويس اكتسب سمعةً عالميَّةً ، تُضاهي محاكم التفتيش الصليبية ، وسجون النصيريين في سوريا كسجن تدمر سيء الذكر ، وسجون مصر كأبو زعبل ، وبلغ من نتن سمعة هذا السجن ، أن المحققين في أستراليا أثناء التحقيق مع بعض أهل هذه البلاد هددوه إن لم يتجاوب أن يرسلوه إلى الرويس !!

وكلُّنا قرأ أو سمع ما حكاه أبو الليث الليبي ومن معه من الإخوة الليبيين مما لقوه وعانوا منه في الرويس ، حتّى يسَّر الله لهم الفرار منه والنجاة.

ووقع كثيرٌ من ذلك لكثير من الشباب لمَّا أُدخِل قرابة الخمسمائة من المجاهدين سجن الرويس إثر تفجير الرياض ، وعذّبوا جميعًا ليعترفوا بما لم يفعلوا ، ووقع بهم من البلاء ما الله به عليم.

فهذا أحدهم يحكي قصته ويقول : جُلدت حتى تقرح جلدي ، وكُنت في غرفة قذرة مليئة بالبراغيث ، وكان وقع البراغيث على الجروح الحية أشد من طعن السكاكين ، حتى كرهتُ نفسي ، وعفتُ الحياة ، وكان من تعذيبهم لي إطفاء السجائر في دُبري وكان يدخلني من الألم البليغ ، ما لا يصفهُ لسان البليغ ، وأشدُّ ألم جرح السيجارة حين أحتاج لقضاء حاجتي فأحسُّ أن دماغي يغلي ، وأن رأسي ينفجرُ ، وأظنُّ في لحظات أنّي قد مُتُّ من الألم ، ثُمَّ أنتبه إلى أنني –للأسف الشديد– باقٍ في الأحياء.

كان المطلوب أن يعترف أنه هو من فجر في الرياض ، فاعترفَ بما أرادوا ، قال كنتُ والله أتمنى وأُريد أن يُعدموني ، وحققوا معه ، وظهر بسهولة أنه كاذبٌ في اعترافه لأنه لم يكن يعرف تفاصيل الحادثة ، فأعادوه إلى التعذيب مرةً أخرى!! فماذا يُريدُ هؤلاء اليهود منه؟ الاعتراف؟ فقد اعترف ، القتل؟ فهاهو يقول اقتلوني وأريحوني وسأعترف بما تريدون!

ماذا صنعَ بعد ذلك؟ أشار عليه من رحم حالته من داخل السجن بإظهار محاولة الانتحار ، وأخبره أن إدارة السجن ستوقف التعذيب إذا فعل ذلك ، فما كان منه إلا أن انتظر حتى تأكد من أن الجندي قريب منه ، فعلّق نفسه بحبل وأوهمهم أنه يشنق نفسه ، فجاؤوا يركضون إليه ، وفكّوا الحبل وذهبوا به إلى زقزوق مدير السجن ، فماذا قال عدوُّ الله؟ قال له الخبيث واعظًا : كيف تقتل نفسك؟ ما تعرف حديث : "عبدي بادرني بنفسه ، حرّمتُ عليه الجنة"؟!! أسمعتم بالثعلب الواعظ؟! أرأيتُم ورع هذا اليهودي؟ يعلم أن الله حرم قتل النفس ، ويحفظ الدليل ، ولكنه يجهل أن الله حرم الاعتداء على المساجين ، وتعذيب المجاهدين ، وانتهاك الحرمات الغليظة منهم ، وسب الله أمامهم!!

هذه القصة ليست وقائع أسطورةٍ تُروى ، بل هي والله بعضُ ما وقع في سجن الرويس ، لأناس معروفين من المجاهدين.

والشيخ الشهيد يوسُفُ العييري تقبله الله في الشهداء ، قُبض عليه لما وقع تفجير الخُبر ، وسجن قرابة ثلاث سنين ، وعُذب عذابًا شديدًا ، بتُهمة أنه مدبِّرُ التفجير ، وما كان والله يعلم عنه شيئًا ، ولا يدري من قام به ، فضلاً عن أن يكون هو المسؤول عنه ، وكان من شدة التعذيبِ يرجع إلى زنزانته محمولاً لا يستطيع المشي ، وكُسرت يده تحت التعذيب ، حتى إنه قرر الاعتراف وطلب مقابلة مدير السجن ، فلما لقيه قال له : أعلم أنكم في حرجٍ لعدم معرفتكم بالفاعل ، ولا مانع عندي أن

أعترفَ لكم بما تُرِيْدون ، فغضب مدير السجن وأمر بردِّه إلى زنزانته ، وكان يقول مثل سابقه : أنا الذي قمت بالتفجير فاقتلوني وأريحوني من هذا العذاب الذي لا يطاق .

ومن حديث وقائع التعذيب ما يجري اليوم للمتّهمين بتفجيرات الرياض ، في الحاير وعليشة وغيرها ، وقد خالفوا بذلك عادتهم السابقة ، من أنّ سجن عليشة للقضايا اليسيرة ولا يكون فيه تعذيبٌ .

ومن الّذين يُعذَّبُون في هذه الأيام : محمّد المبرّز الّذي يعذّبه مجموعةٌ من ضبّاط المباحث ، وقد اجتمع عليه في يومٍ واحدٍ سبعةٌ من الضباط في يد كل واحدٍ منهم عصًا غليظةٌ وأخذوا يضربونه دون هوادة ، لا يرقبون فيه إلاًّ وذمّة ، حتّى خرج أحد الضبّاط بعد قليل ، ويده داميةٌ من الضرب بالعصا (هذا الضارب فلا تسأل عن المضروب) ، وخرج ليغسلَ يدَهُ ثمّ رجع ليكمل جولته في الحرب ضدّ الإسلام ، وكأنّ (البابا) فهد يصيح في أُذُنه محرِّضًا: سيروا وليبارككم الصليب.

وهذا المُجاهد صالح الجُديعيّ زاره أهله فخرج لهُم ملطّخةً ثيابُه بدمائِه ، من أثر التعذيب بألوان آلاتِ التعذيبِ ، من كرسيٍّ كهربائيٍّ وغيره.

وآلات التعذيبِ في السُّجون تُنبيك عن شيءٍ من الواقع الأليم الذي يعيشونه ، فهناك الآلات المبتكرة للتعذيب ، من كرسيٍّ للتعذيب بالكهرباء ، ومسمارٍ كبيرٍ ، يُرفع بمقبض يدويٍّ (هندل) ، ليُدخَل في دُبُر السجين ليذوق النكال الأليم ، والعذاب العظيم ، وإنّ لذكر هذه الأمور لوطأةً على النفس الكريمة ، فكيف بوقعها حقيقةً؟! أمّا الأسواط من الجلود ، والعصيّ من الخشب ، والآلات من الحديد ، في أنحاء السجن ، فأكثر من خيانات نايف للدين ، وموالاته للكفرة والملحدين ، فلعنة الله على هؤلاء الذين لا يُؤمنون بالله واليوم الآخر ، وإنّما يُؤمنون بأمريكا ربًّا ، وبالخبث دينًا ، وبنايفٍ نبيًّا ورسولاً من ربِّهم أمريكا.

بل إنّ التّعذيب منذ أيّام جهيمان (رحمه الله) في السجون أمر لا يوصف ، وقد كان سجن الرويس منذ ذلك الوقت مسلخ تعذيب متطوراً ، وقد حدّثني أحد من كانوا مع جهيمان ، وانفصلوا عنه عندما دخل الحرم ، أنّ كثيراً منهم كانوا لا يصدّقون بالمهديّ الّذي كان معه ، ولكنّهم لما نوقشوا قالوا : هذا خيرٌ لنا من مصير إخواننا في السجون الّذين فقدوا عقولهم في التعذيب ، أو فقدنا أخبارهم في الخارج ، فكثيرٌ منهم كان بانضمامه إلى جهيمان ، يفرُّ من التعذيب والتنكيل الّذي يلقاه في الخارج ،

فدخلوا الحرم وهم متأوّلون ، أنّهم عائذون بالبيت لاجئون إلى الله ، مع أنّهم لم يكونوا يقولون بكفر هؤلاء الحكّام الطّواغيت ، والعياذ بالبيت جائز ، وحمل السلاح فيه لمن خاف إن أراد به الدفع عن نفسه جائزٌ كما دخله النبي صلى الله عليه وسلم ومعهم السيوف في القُرُب.

مَن هَؤلاء؟

هؤلاء الَّذين يذوقون أشدَّ العذابِ في أطهر البلاد ، هؤلاء الَّذينَ يُعاقبون على التوحيد في بلاد التوحيد ، ويُعذَّبون على الجهادِ في أَرْضِ الجهَادِ ، هؤلاء هم أسود العقيدة ، وحُرَّاس الشريعة ، وحُماة الدين ، الذائدون عن الأعراض ، والمُدافِعُون عن العباد والبلاد ، هُمُ الَّذين بَذَلُوا نفوسَهُم دون إخوانهم المسلمين.

الَّذين يجري عليهم هذا العذاب ، هُم الَّذين امتطوا ذروة السَّنام ، وأحيوا شعائر الإسلام ، خيارُ النَّاس وأنفعُ النَّاس للنَّاس.

إنَّ أمثال هؤلاء حقٌّ على أممهم أن يرفعوهم على الرؤوس ، ويحملوهم على الأكتاف ، ويعرفوا لهم جهادهم وقدرهم ومنزلتهم في الدين.

بل لو لم يكُن دينٌ ، فإنَّ البطولة والشجاعة مما تعظِّمه جميع الأُمم ، وكلُّ الأقوام يُمجِّدون أبطالهم ، ويعتزُّون بذكر مآثرهم.

وليتَ شعري ، لو لم يكُن هؤلاء اليوم ، فما الَّذي يستحقُّ أن نعتزَّ به في تاريخنا؟ الحكَّام الخونة الأذلَّة الضُّعفاء المرتدُّون ، أم العلماء المداهنون الكاتمون للحقِّ اللابسون له بالباطل ، الَّذين أحسنُ أحوال الواحد منهم أنَّه ساكتٌ مداراةً وتُقيةً تاركٌ لما أُمر به لعجزه عنه ؛ فوجوده وعدمه سواء ، أم سائر الغثاء الَّذي هو كغُثاء السَّيل؟

هؤُلاء هم خُلفاء خالد بن الوليد ، وصلاح الدين الأيُّوبي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، ومحمد بن عبد الوهَّاب ، إلاَّ أنَّ ذنبهم أنَّ أسلافهم كانوا أبطال الإسلام ، في زمن حكَّام المسلمين ، وهؤلاء اليوم أبطال الإسلام لكنَّهم جاؤوا في زمن الحكَّام الخونَة.

وما كُنَّا نظُنُّ أن يفعل الطواغيتُ بهم إلاَّ هذا ، ماذا نظنُّ بروسيا أن تفعله لو وقع البطل خطَّاب في قبضتها؟ وما نظنُّ بأمريكا لو وقع أمير جيش الإسلام أسامةُ بن لادن في قبضتها –حفظه الله وصانه–؟ وهذه هي المعركةُ منذ كان الحقُّ والباطل ، والهدى والضلال ، والإيمان والكُفر.

وهذا كلُّه في الوقت الَّذي نسمَعُ فيه الاستهزاء بالدِّين ومن انتسب إلى الدين ، ومن دافع عن الدين ، ونسمع التهكُّم بآيات الله وكتابه وشعائر دِينه من وسائل الإعلام ، في الوقت الَّذي نسمع تركي الحمد يقول : الله والشيطان وجهان لعملةٍ واحدةٍ ، قاتله الله وأهلكه ، وقاتل الله من دافع عنه وحماه ومكَّن له في البلاد ، هذا كلُّه في الوقت الَّذي نجد بعض دهاقنة العلمانيَّة ، ورؤوس الضلال وزراء يحكَّمون في البلاد والدماء والأعراض ، في الوقت الَّذي تُسلَّمُ فيه أمانة مجلس الوزراءِ إلى شرذمةٍ من العلمانيِّينَ ، الَّذين يكيدون للدين ، ويحاربون المؤمنين.

فنسأل الله أن يلطف بالمعذّبين ، ويُنجي الأسرى ، ويقصم الطواغيتَ ويذلَّهم ويُعجِّل زوالهم:

أزال الله دولتهم سريعًا * * * فقد ثقُلتْ على عُنُقِ اللَّيالي

الواجب تجاه هؤلاء:

ما ذكرنا الّذي ذكرنا أعلاه ، توهينًا للهمم ، وإضعافًا للنفوس ، بل المؤمن التقيُّ ، والبطل المجاهد ، والرجل الحرُّ ، يدفعه حال الأسرى دفعًا إلى الدفاع عنهم ، والحرص على إخراجهم وإنقاذهم.

أمّا مُخنَّثُ العزيمة ، رديء النفس ، ساقط الهمّة ، الخوّار الجبان ، والرعديدةُ الفرِق ؛ فإنّه يجد في هذه القصص سلوةً لنفسِه ، ومخرجًا عن الواجب عليه ، بالتّذرُّع ببطش الطّاغوتِ وزبانيتِه ، وعظيم فساده وأذيّتِه ، فيهرب عن حكم الله بهذا ، ويفعل فعل من قال الله فيهم : {لو يجدون ملجأً أو مغاراتٍ أو مدّخلاً لولّوا إليه وهم يجمحون}.

وإنّ النّفس المتحقّقة بالشريعة ، المتنزّهة عن المنزلة الوضيعة ، لتُحرِّكها هذه الوقائعُ إلى أمرين:

الأول: أنْ لا تستسلم لهذا مهما كانت الحال ، بل تستعدُّ وتُعدُّ ، وتذبُّ العدوّ وتدفعُهُ وتُقاتلُهُ حتّى يدفع الله شرّه ، أو تنال الشهادة في سبيل الله.

والأمر الثاني : أن تسعى لفكاكهم واستخلاصهم ، وتستنّ في هذا بكليم الله موسى ، حين أرسله الله عزّ وجلّ إلى فرعون فقال له : {فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذِّبهُم} ، ففيه أمران : إرسالهم وإطلاقهم ليذهبوا معه حيثُ شاء الله ، ورفع العذاب والنّكال عنهم ؛ فأنجاهم الله عزّ وجلّ به بعد سنينَ من الذِّلّة والهوان والبلاء العظيم.

على أنّ ما حكاه الله لنا من بلاء فرعون ، ومن وعيدِه أهونُ بكثيرٍ مما يلقاه إخواننا على أيدي فراعنةِ الوقتِ نايفِ بن عبد العزيز وإخوانه وأعوانه ، وغيره من الفراعنة في مصر والشام واليمن وباكستان وفي أنحاء الأرض.

فكان غاية بلاء فرعون مما عرفناه : أنّه يُذبِّح أبناءهم ، ويستحيي نساءهم ، وغاية وعيده : أن يقطّع أيدي السحرة وأرجلَهُم من خلاف ، ويصلّبهم في جذوع النّخل.

أمَّا فراعنة العصر ؛ فقد وقع منهم قتل الأبناء كما فعل فراعنة الجزائر الذين كان يدعمهم طواغيت جزيرة العرب دعمًا غير محدود ، ووقع استحياء النساء في صورٍ أسوأ مما فعله فرعون ، من انتهاك أعراض الزوجات أمام أزواجهنَّ ، والأمَّهات أمام أبنائهنَّ ، ووقع هذا في الشام ومصر وغيرها ، ووقع في بلاد الحرمين في كثيرٍ ممن لا يحملون البطاقة السعوديَّة ، ووقعت أنواع من العذابِ لم تخطر ببال فرعون ، ولم يُسعفْهُ بها هامان.

ومسألة فكاك الأسرى ، وتخليص المعذّبين ، من مُوجبات الجهاد ، وأنتَ ترى أنَّه من أوّلِ ما قاله موسى لعدوِّ الله فرعون.

وقد قال الله عزَّ وجلَّ : {وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليًّا واجعل لنا من لدنك مصيرًا}.

ولعمري لو لم تكن شريعةٌ تُوجبُ الدِّفاع عن هؤلاء واستخلاصهم ، لكانت الفطرُ السويَّة ، والطبائع البشريَّة تُطالب بذلك وتحضُّ عليه ، وما الغفلة عنهم والتهاون بما يقع بهم ، وقلة الاكتراث بأمرهم إلاَّ من موت القلب وانعدام أُخوَّة الدين ، وإلاَّ فهل يسكت عن هذا من "يحبّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه"؟!

وإذا كانت امرأةٌ دخلت النَّار في هرَّةٍ حبستها ، وكان من أهمِّيَّةِ أمرها أن حكى لنا النبي صلى الله عليه وسلم خبرها ، فكيف بعباد الله الصالحين الذين حُبسوا في شرٍّ من محبس الهرَّة ، ويُعاملون معاملةً يُكذِّب بها من لم يقف على حقيقتها ، لشناعتها وفظاعتها ، وإذا كانت هذه شناعتها على السَّامِع ، فكيف بمن يُعانيها ويُقاسيها؟ نسأل الله أن يلطف بهم وينجيهم من أسرهم.

لا تتورّع عن هؤلاء:

أيُّها المجاهد : لا شكَّ أنَّ المؤمن يتورّع عن دماء المسلمين ، ولا شكَّ أنَّ قتالَ رؤوس الكفر وأئمته أحبُّ إليك من قتال الأذنابِ وأذنابِ الأذناب.

ولكنَّ من الورع البارد ، التورُّع عن مقاتلة جنود الطواغيتِ دفاعًا ، والنبي صلى الله عليه وسلَّم نهى عن تسليم المال لمن جاء يطلبُهُ ، وأمر بمقاتلته إن قاتل ، فكيف بمن طلب ما هو أعلى؟ وكيف بمن اجتمع في طلبه لك : أنَّه يطلبك لتسليم نفسِك ، فيسجنك ويعذِّبك ويستعين بك على حرب المجاهدين ، وإيقاع إخوانك فيما وقعتَ فيه؟

فلو لم يكن في الأمر إلاَّ الدفاع عن النفس لكان مشروعًا لك الدفاع بالنص ، فكيف وقد اجتمعَ مع هذا ، أنَّهم معينون لأمريكا عليك ، وأنَّ الطَّالب لك أمريكا : إمَّا باسمِكَ ، وإمَّا بوصفِك؟

أتتورَّعُ عن قِتال الجيش الأمريكيِّ ، وجنودِهِ أيًّا كانت بلادهم ، ومهما ادَّعوا من الدين والانتساب إليه؟ وهل في دين الله فرقٌ بين أمريكيِّ الجنسيَّةِ وسُعُوديِّ البطاقَة؟

ولم يُفرِّق أحدٌ من أهل العلم في أحكام القِتال ولا غيرِه بين الوكيل والأصيلِ ، ولا يجري على لسانِ من عرف الفقه التَّفريقُ بين قِتال الكافر لك بنفسِه ، وإرسالِهِ المنتسبين إلى الإسلامِ إليكَ ، في مشروعيَّة دفاعِك عن نفسك ، وذبِّك عن دينك ومالك وعرضِك.

هذا لو فُرِضَ أنَّ الحكومة الَّتي سلَّطَتها عليكَ أمريكا حكومةٌ مُسلِمةٌ ، فكيف وهي من أعظمِ حكوماتِ الأرضِ ردَّةً ، ولم تزد عن سائر الحكومات العميلة المرتدَّة إلاَّ في التَّلبيسِ والإضلالِ ؟!

كيف ومن وجوهِ ردَّتهم ، ومعالم كفرهم ، طلبُهُم ومطاردتُهم وعقوبتُهم لك وتشهيرهم بك ، وسبُّك بإطاعتك الله ، وامتثالك أوامره ، طاعةً منهم للكافرين ، وإعانةً للصليبيين ، ومحاربةً للدين؟

ومسيلمةُ الكذّاب وأمثالهُ من المرتدّين خيرٌ من هؤلاء الحكام المرتدّين وأقربُ للإسلام وأقلُّ ارتكابًا للمكفّرات والنواقض ، ولم يُفرِّق الصحابة بين أفرادِ هذه الجيوشِ ، ولا راعوا التباس الحال على بعض المغرّر بهم ، بل حكموا فيهم بما حكم النبي صلى الله عليه وسلم في جميع الكفار الذين قاتلهم ، معاملة الرجل الواحد ، وأجروا عليهم حكم رأسهم ورئيسهم ، ومن قاتلوا دونه ، وفي سبيله ، والله يبعثهم على نيّاتِهِم.

وهذا الحكم منصوصٌ عليه في الكفار الأصليين ، مجمعٌ عليه في الكفّار المرتدّين ، لم يقع فيه خلافٌ قطُّ .

ومن تحريض الله للمؤمنين :

{ألا تُقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول <u>وهم بدؤوكم أول مرة</u> أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين}

{فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم}{وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم}{أُذن للذين يُقاتَلون بأنّهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير}{ولمن انتصر بعد ظُلمه فأولئك ما عليهم من سبيلٍ}.

ما الفائدة؟

أخي المجاهد ، تذكَّر حين تمتنع عن تسليم نفسكَ ، أنَّك تشغل الطواغيتَ عن غيرك ، وحين تواجهُهُم بالسِّلاح أنَّك تدفعُ عمَّن وراءَك ، وأنَّ قتالَك واستماتَتَك في القتال ، من أعظم الروادع للمرتزقة وجنود الطاغوتِ عن إخوانك المجاهدين.

ولسنا بحاجةٍ إلى الحديث عن أهمِّيَّةِ المواجهة ، وجدوى المُدافعة مع المجاهِدِ الَّذي استبانت له هذه المسألة ، وعلم أنَّ الجهاد هو الحلّ وأنَّ دفع البأس والعدوان والضيم لا يكون إلاّ بالسِّلاح.

فعلى من يُطلبُ لأمريكا أو أيٍّ من عملائها ، أو لكافرٍ غيرها ، أن يعلم أنَّه :

إن قاومَ ودافعَ عن نفسه فقُتل فهو شهيدٌ ، وإن قَتَل فقتيله إلى النَّار ، وبهذا أُمِر ، وإن نجا نجت به قناة الخير التي كان أجراها ، ثمَّ هو يسُنُّ لمن خلفه ويحرِّضُهُم ، ويُعينهُم على الخلاصِ ، كما يوهن عزائم عدوِّه ويخذِّلُهم ويكسر شوكتهم عن المجاهدين ، ويجعلهم يحسبون ألف حسابٍ قبل انتهاكِ الحرمات والتعدي على المسلمين ، ويُعلن للمرتزقة أنّ من قاتل في سبيل المال ، سيفقد ماله ونفسه قبل أن يصل إلى المجاهدين.

وإن استسلم وسلَّم نفسه ، أجرى على نفسِهِ حُكْمَ الكافر ، وجعل له سبيلاً عليه ، وقوَّى عزيمَتَه ، وزاد من كَلَبِهِ على المجاهدين وجرأتِهِ عليهِم ، ثمَّ وقع عليه ذُلُّ الأسر ، وهوان السجن ، وأوقف عملَهُ للأُمَّة ، وربَّما ذاق العذاب والنَّكالَ ، وأثقلتهُ القيود والأغلالُ ، وفوقَ هذا فإنَّه لا يأمنُ إن أُسِر أن يفشي أسرار المجاهدين ، ويقطع العمل ، ويكون نكسةً للأمَّةِ ، وغايةُ ما يفعله المُستسلِم أنَّهُ ينقِذُ نفسَهُ بإهلاكِ الأمَّة ، بل ينقذ دنياهُ بالمخاطرةِ بآخرتِهِ ودينِهِ حين يتعرَّضُ للفتنِ العظامِ.

هذا وهو لا يأمن أن يقع به ما كان يخاف ، وأن يُقتل في السجن بحكمِ قاضٍ مُلقَّنٍ مكتوبٍ له الحكمُ ؛ فلا يكون ازدادَ باستئسارِه إلاّ ممَّا يكره ، ولا اقترب إلاّ مما يخافُ.

أمَّا الَّذي ثبتَ حتَّى قُتل ، فحسبُهُ أن يتذكَّر أصحاب الأخدود المؤمنين ، وكيف كانت المرأة منهم ، وطفلها بين يديها تلقي بنفسها في النار ، لكي لا تتنازل عن مبادئها ، وترجع عن عقيدتها وثوابتها.

بل لينظر إلى مثالٍ من هذا العصر ، وليتأمَّل موقف الأسد الهصور ، أمير المؤمنين الملاَّ محمد عمر نصره الله ، حين صمد ووقفَ وثبتَ وأبى تسليم شيخ المجاهدين أسامة بن لادن ، وأعاد موقف الصديق يوم الردة ، وأحمد يوم فتنة خلق القرآن ، وابن تيمية يوم فتنة التعطيل.

فهل يقول عاقلٌ في أحدٍ من هؤلاء : ماذا استفاد؟

فالثبات على المبدأ والقتال دونه فائدة ، والتزام الحكم الشرعي فائدة ، والشهادةُ فائدةٌ ، وتحريض المجاهدين فائدة ، وإيهانُ الكافرين فائدة ، والسلامة من الأسر وجريان حكم الكفرة عليه فائدة ، والسلامة من العذاب والنكال فائدة ، وحفظ أسرار المجاهدين فائدة.

فإن لم يكن استفاد دنيا ، فقد استفاد حماية دينه ، وإن لم يكن نال حظَّ نفسه ، فإنَّه أحرز مصلحة الأمَّة ، وأيُّ لؤمٍ أشدُّ من استسلامٍ يُفسِدُ فيه أعمالاً بُذلت فيها مهج ، ليحمي مهجته من القتل الَّذي هو خيرٌ له في الدنيا والآخرة؟

وحسبك من عظيم مضرَّة الاستسلام ، أنَّ مضرَّة القتل أهونُ منها في حقّ من يحمل أسرار الجهاد ، كما أفتى بذلك محمد بن إبراهيم ، وحمود بن عقلا رحمهما الله ، وغيرهما من أهل العلم ، ودلَّت عليه الأدلَّة الصحيحة الظاهرة ، وإنَّ أمرًا يُبيحُ قتلَ النفسِ لعظيمٌ والله ، وإنَّ المخاطرة بهذا الأمر العظيم لعظيمةٌ حقًّا.

الصَّيفَ ضيَّعتِ اللَّبن:

كأنّني الآن أنظر إلى موقفين ، متشابهين في الظَّاهر ، مع الاختلاف العظيم بينهما في الباطن:

أحدهما : ما اتفق عليه الشَّيخان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : "ما من أحد من أهل الجنة يتمنَّى أن يعودَ إلى الدُّنيا وله ما على الأرض من شيءٍ ، إلاَّ الشَّهيد فإنَّه يتمنَّى أن يرجع إلى الدنيا فيُقتل عشر مرَّاتٍ ؛ لما يرى من الكرامة".

والثاني : من استسلم لعدوِّه وسلَّم نفسه إليه ، فوقع في عذابٍ أليمٍ ، وتمنَّى فيه رسول الموت أن يزوره ، ولات حين ممات.

فكلاهما : يتمنَّى أن يعود إلى حيثُ يستطيع أن يُقاتل حتَّى يُقتل ، وكلاهما يتمنَّى أن يُقتل عشر مرَّات.

ولكنَّ الشهيد يتمنَّى ذلك لما يرى من الكرامة ، والمستسلم يتمنَّى ذلك لما يرى من الهوان ، الشهيد رأى فضل الشهادة فتمنَّى القتل لتكرارها ، والمستسلم رأى غبَّ الاستسلام فتمنَّى القتل للخلاص منه.

فلينظر المجاهد لنفسه ما دام أمره في يده ، وليعلم أنَّ كلَّ دافعٍ يدفعُهُ لتسليم نفسه ، والاستسلام لعدوِّه ، والنُّزول عند حكمه ، سيكون حسرةً عليه ، وموجبَ ندامةٍ حين لا تنفعه النَّدامة.

فمن استسلم خوف القتل ، لم يأمن أن يناله أمرٌّ من القتل وأشدُّ وأنكى ثمَّ يُقتل بعدها بحكم قاضٍ ملقَّنٍ ما يحكم به ، ومن استسلم خوف الألم والجراحة ، لم يكن بمنأى عن ألمٍ أشدَّ وأعظم ، تحت سياط المباحث ، وآلاتِ تعذيبِهِم.

هذا غيرُ ألمِ النَّفسِ الَّذي ينالُهُ حينَ يعلمُ أنَّ عمليَّة كذا وكذا ، ما أفسدها إلاَّ استسلامُه ، وأنَّ فلانًا وفلانًا من المجاهدين ، ما قُبض عليهم إلاَّ باعترافه ، وأنَّه كان قادرًا على أن يبتعد عن كلِّ هذا فلم يبتعد ، متمكّنًا من النجاةِ بنفسِهِ وإخوانه الَّذين أوبقَهُم ، فلم يفعل.

ألم النّفسِ حينَ يسمعُ صرخَاتِ إخوانه، وأنّاتِ من اعترف عليهم، وجرّ التعذيب إليهِم، وحين يراهم غدًا ويرونه، ويلقاهم ويلقونَه، وحين يرى مشروعَ جهادٍ تعثّر وتأخّر، وسببُ ذلكَ كلِّه أنّهُ سلّم نفسه، ولو قاتلَ لنجا فأكمل عمله، أو قُتلَ وما جاوز أجلَه، ثمّ إلى النّعيم المقيم بإذن الله في جنّاتِ عدن.

حينَ تقول له نفسُهُ، ليتك لم تُسلّمْ نفسَكَ، وقاتلتَ حتى قُتلتَ، فلا يملك حينها إلاّ أن يقول : **الصّيفَ ضيّعتِ اللّبن.**

مغرَّرٌ بهم:

ستسمع أيُّها المجاهد، نداءاتِ المغرَّر بهم، من إخوانكَ ومحبِّيك، وأهلك وذويك، ومن المنتسبين إلى العلم المتحدِّثينَ باسمِهِ، ومن نايفٍ وإخوانِهِ وأعوانِهِ، ومن الأبواق الَّتي تُسمَّى وسائل الإعلام، والببَّغاوات المسمَّاة بالإعلام.

سيدعُوك أخوك، ويناديك أبوك، ويتحدَّثُ عنكَ النَّاس، ويُطالبونك بالاستسلام والعودة، ويحدِّثونك زورًا عن عفو الطواغيت الجبابرة، وسعة صدورهم لك، أنَّى وقد ضاقت بدين الله؟ ولم تتَّسع للانقياد لحكم الله؟

فإذا كُنتَ عرفتَ الحكم الشرعيَّ، فاعلم أنَّ هذه فتنةٌ من الفتن، وامتحانٌ من الامتحاناتِ، فاسأل الله التَّثبيتَ وتوكَّل عليه في جميع أمرِك.

واعلم أنَّ النَّاصِحَ لك حقًّا يتمنَّى لك النَّجاة، ويرجو أن لا تقع في يد عدوِّك، ويدعو لك بالحفظ منه، والصِّيانة عنه، ولو تمكَّن من إيصالِ ذلك إليكَ فعل، وأنَّ النَّاصح للطاغوتِ لا يعنيك بكلامه، وإنَّما يعني إسماع سيِّدِهِ، والتقرُّبَ إليه بما يقول، وما أحراك بأن لا تلتفت لكلامٍ ليس لك.

واعلم أنَّ أُمَّكَ الرَّؤُومَ، ووالدك الرَّحيم، لو علما حقيقة الأمر، وأدركا ما يقعُ في سجون الطَّواغيتِ، وأحسَّا بما ينتظرُك لو وقعتَ في أيديهِم: لدعوا — لك لا عليكَ – بالموتِ العاجِلِ، ولا أن تقعَ في يدِ نايفٍ وإخوانِهِ وأعوانِهِ، عليهم من الله ما يستحقُّون.

وإلاَّ فهل يصدق أحد، ما قاله نايف عدو الله حين يطالب من فقدوا أحد أبنائهم بإبلاغه، ليرده إليهم زعم، وكذب عليه من الله ما يستحقُّ، وعجبًا لنايف، متى جاءه هذا الحرص المفاجئ على أبناء المسلمين؟ وكيف صار يهمُّه أن يعيد الولد إلى أُمِّه وأبيه؟!

وأمَّا المشيخَةُ المنصَّبَة، من موظَّفي الإفتاء، والمتزلِّفُون من غيرهِم، فهم بين جاهلٍ بحقيقةِ الحال، أو عميلٍ باعَ دينَهُ بشيءٍ من المال، ولا ثالث.

وإن أردتَ أن تعرفَ حقيقةَ فتاواهُم ومطالبتهم لك ، فارفع إلى أيٍّ منهم هذا السُّؤال:

هل يجب على من طلبه الكُفَّار تسليم نفسه؟ أو طلبه وكيلٌ لدولة كافرةٍ يعمل على تتبع من تطلبهم والتحقيق معهم وسجنهم؟

هل يجب على المطلوب تسليم نفسه ، إذا كان يعلم أنَّه يطلب لا ليحكم فيه بالشرع ، بل ربَّما لم يحكم فيه بالشرع ولا بغيره؟

هل يجب على المطلوب تسليم نفسه ، إذا كان يعلم أنَّه سيسجن السنوات ظلمًا؟ وأنَّه سيذوق ألوان التعذيب؟

وهذه الأسئلة هي حقيقة الحال هنا ، ولا يفتي بوجوب تسليم النفس فيها من يخاف الله ، ويتعلَّق من العلمِ بسببٍ أيِّ سببٍ ، إلاَّ من باع دينَه ، أو جاهلٌ بالواقع.

فكيف يثنيكَ عن حكمِ الله ، سدنةُ طاغوتٍ متبرٌّ ما هم فيه وباطلٌ ما كانوا يعملون ، أو جهَّالٌ مساكينُ **مغرَّرٌ بهم؟**

افعل كما فعلوا:

إذا طلبك عدو الله ، فلا تأل في الفرار والاختفاء عن عين عدوك جهداً ، واستن بمن فروا من قبلك : بموسى حين فر من فرعون واختفى عنه ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم حين اختفى عن قريش : في دار الأرقم بن أبي الأرقم أخفى مجالسه مع المؤمنين ، وفي الغار حين خرج مع أبي بكرٍ الصديق ، وفر عنهم يوم الهجرة.

ثم استن بمن بعدهم ممن فر واختفى ، فقد كان الزهري الحافظ عالمُ المدينة يعزمُ على الفرار إلى بلاد الروم متى تولى الوليد بن عبد الملك ، واختفى الحسن البصري وغيره زمن الحجاج ، حتى ألف من ألف كتابًا في "المتوارين" ، واختفى أحمد بن حنبل ، وجماعاتٌ من السلف زمن فتنة خلق القرآن.

وما زال الاختفاء والفرار ، حتى سن الاختفاء اليوم المشايخ : ناصر بن حمد الفهد ، وعلي بن خضير الخضير ، وأحمد الخالدي ، وعبد الله الرشود ، وغيرهم.

فإن ضُيِّقَ عليك ، وما استطعتَ الفرار ، فارفع السلاح وقاتلهم ، وادفع الصائل عنكَ ، ثم إن شئتَ فقاتلتهم مستقتلاً واطلب الشهادة أو النصر ، وإن شئتَ فتحرف لقتالٍ أو تحيز إلى فئة ، وانظر ما يأمرك به أميرك ، فإن أمرك أن تحرص على الانسحاب فافعل ، وإن أمرك أن تُثخن فيهم فأثخن حتى لا يصل إليك المرتزقة إلا وقد أعذرتَ.

وقد سبقك في هذه المجاهدون من قديمٍ وحديث ، فسلفُك عاصم الذي حمتهُ الدبُر ، ومن بعده إلى اليوم ، ألا ترى العالم المجاهد يوسف العييري ، كيف أثخن في عدوه وجاد بنفسه ، وما قُتلَ حتى قتل من عدوه من قتل؟

أوما ترى البطل : تركيًا الدندني ، ومن معهُ من المجاهدين ، ما قُتلوا حتى أثخنوا في المرتزقة ، فما نالوا دماءهم رخيصة؟

ألا ترى المجاهد أحمد الدخيل ، ومن معه حين اجتاحتهم الأعداد الكبيرة ، وهم صامدون صابرون ثابتون ، فلم يوصل إليهم وفيهم عينٌ تطرف؟

إن كنتَ تتورّعُ عنهم مع علمك بالدليل الصحيح على مشروعيّة قتالهم ، فهاهم لم يتورّعُوا عنكَ وهم المرتزقة الّذين لا يعرفون من الأدلّة إلاّ : (أنا عبدٌ مأمور).

إن كنتَ تتورّعُ عنهم : فهاهم قتّلوا المجاهدين لم يرحموهم ولم يرقبوا فيهم إلاًّ ولا ذمّة ، هاهم قتلوا الشيخ يوسفَ العييريّ وهو يُعْرِضُ عنهم غير خائفٍ ، فيطاردونه غيرَ آبهينَ ، وقتلوا تركيًّا الدندنيّ وهدموا المسجد الّذي أوى إليهِ .

فقاتل في سبيل الله ، وامتثل حكم الله ، واهتدِ بهدي رسول الله ، وتأسَّ بالمجاهدين في سبيل الله ، **وافعل كما فعلوا**.

اسحبِ الأقْسام:

أخي المجاهد في سبيل الله ، قد رأيتَ ما جرى لإخوانك الّذين استسلموا ، وعلمتَ الحكم الشّرعيّ ، واستشعرتَ الأمانة العظيمة في عنقك من أسرار المجاهدين ، وتنبّهتَ إلى الفتنة الّتي تنتظرُك إن استسلمتَ وما تدري أتصبرُ أم تُفتَن؟

ولا شكّ أنّ من في قلبِه حياة ، وآثر الآخرة على الدنيا ، وقدّم دينه على دنياه ، لا يرضى بالاستسلام لعدوِّه وتمكينه من نفسه ، بل تمكينه من دينِه وبدنِه ووقتِه ، بل من ثغور المجاهدين ، وأسرار الجهاد.

فإن كنتَ –كما هو الظّنُّ بك– قد اتّخذتَ قرارَك متوكّلاً فيه على الله ، معتمداً عليه ، فاعلم أنّ هذا الأمر لا هوادة فيه ولا توسُّط ، ولن تدخل المعركة ببعضِكَ وبعضُك مشغول ، وإذا واجهتَ عدوّكَ فخذ معك واحمل في يدك كلّ ما تحتاجُهُ وتقدر عليه من سلاحٍ ، فاحمل المسدّس ، ولا يبعُد عنكَ الرّشّاش ، ولا يخلُ جيبُك من قُنبلة ما استطعتَ إلى ذلكَ سبيلاً ، وكلّما استطعتَ قوّةً فواجبٌ عليكَ إعدادُها ، فكما تعدُّها لأمريكا ، عليك أن تعدّها لوكلائها ، وهذا داخلٌ في عمومِ الأمرِ لا مُخرجَ له منه.

فإذا لقيتَهُم ، فتذكّر كلّ ما أمرك الله به قبل القتال وفي القتال ، فاذكر الله كثيراً ، وكبِّره تكبيراً ، واثبت واسأل الله الثّبات ، وأعرض عن الدنيا ، وأخلص نيّتك لله ، واجعل دفاعَكَ عن نفسِكَ في سبيله ، وابتغاءَ مرضاتِه ، وتذكّر أنّ قتالَكَ هذا مضيٌّ واستمرار في مسيرةِ الجهادِ الّتي سبقَكَ فيها المجاهدون منذُ إمام المجاهدين صلى الله عليه وسلّم.

وخيرٌ لكَ أن لا تكون وحدَكَ ، وأن تستعينَ بإخوانِكَ ، وابحث عن الإخوة العاملين المجاهدين إن استطعتَ ، لا للاحتماء بهم والتعاون معهم فقط ، بل لأنّ العَمَلَ فرضُ عينٍ عليكَ ، كما قُرِّر في غيرِ هذا الموضع ، فإن لم تجد سبيلاً إليهِم فابحث عن إخوانِك من المجاهدين المطلوبين ، واجتمعوا في مكانٍ واحدٍ ما أمكن ذلك ، ولا تقل : الأمر أهونُ من هذا ، فإنّك إذا لقيتَ عدوّكَ ندمتَ وعلمتَ أنّ الأمر يستحقُّ أكثر من هذا ، فاجتمعوا وأعدُّوا معكم ما تستطيعون من قوّة ، ومن ذخيرةٍ وتموينٍ ، وضعوا خطّة للطّوارئ وحراسةً إن استطعتُم فإن لم يكن في جميع الوقت ففي غالبِهِ

، واصبروا وصابروا ورابطُوا واتّقوا الله ، واعلموا أنّ فرج الله قريبٌ بإذن الله ، وأنتُم عبادٌ لله في عبادة لله فاصبرُوا على أمر الله ، والدنيا دارُ ممرّ ، وموضع امتحان ، وإن قال الأوّلُ : "الشّجاعةُ صبرُ ساعة " فنحن نقول : الدنيا كلُّها صبرُ ساعة .

إذا أعددتَ أمرَك هذا ، فأقلل حركتَك قدر الاستطاعة حتّى زوال الغمّة ، فالقاعدة أنّ "كلّ متحركين يلتقيان" ، وخُذ الأمنيّات المعروفة : في الحركة ، والمسكن ، والمركب ، والاتّصالات ، ولا تسر أعزَلَ أبداً ، بل احمل معك من السلاح دائماً ما يكفيكَ .

ولا تنسَ الإعدادَ بكتابة الوصيّة ، والتخلُّص من المظالم ، والتوبة من الذُّنوب ، والاستكثار من الطّاعات ، وتحريض إخوانك المجاهدين على هذا كلّه ، وتحذيرهم من الدخول في الفتنة ، والاستسلام لعدوّهم ، وتبيين المسألة لهم بدليلها الشّرعيّ ، ودعوتهم إلى هذا الحكم الواجب عليهم ، وتخويفهم بالله من الرُّكون إلى الدُّنيا.

ولا تغرب عليكَ شمسُ هذا اليوم قدرَ الاستطاعة ، إلاّ وقد أعددتَ العُدّة ، وتهيّأتَ تمامَ التهيُّؤ ، فإذا تمّ استعدادُك ، فابتسم إلى الموت ، وقل للشّهادة : إليّ إليّ ، **واسحب الأقسام.**

الخاتمة :

أخي المجاهد : لا تستأسر لكافرٍ ، ولا تستأسر لمن يعاقبك على الطاعات ، ولا تستأسر لمن لا يحكم فيك بالشرع ، بل لا يحكم فيك أصلاً بحكمٍ ، لا تستأسر فتفتنَ في دينِك.

لا تستأسر ، وقد عرفتَ ما هو السجن ، ورأيتَ وقائعَ داميةً من التعذيب الأليم الَّذي حلَّ بمن سلَّم نفسه واستسلم لعدوِّه ، وعرفتَ واجبَكَ نحوَهم.

إذا علمتَ هذا فلا تتورَّع عمَّن يطلبك لأمريكا وأولياء أمريكا ، ويُقاتلك في صفِّهم ، لا تتورَّع عن قتلِه دفاعًا عن نفسِك ، وقد شُرِع لك أن تقتله لو كان يطلبُ مالك فكيف بمن يطلب هوانك وإذلالَك؟

إن لم تستطع الفرار ، فقاتل ، ولا تقل : ما الفائدة؟ فالفائدةُ امتثالك أمر الله ، والفائدة حصول الشهادة لك ، والفائدةُ تحريضُك المسلمين ، وتوهينك الكافرين ، وحفظك لما اؤتمنت عليه من أسرار.

واعلم أنَّك إن استأسرتَ اليومَ ، تمنَّيتَ غداً لو أنَّك قاتلت فاستشهدت ، وقلتَ : الصيفَ ضيَّعتِ اللَّبن.

لا تستمع إلى المخذلين والمرجفين ، فهم إمَّا عباد هوى ، وجنود طاغوت ، وإما جهال مغرَّرٌ بهم ، بل انظر إلى من فرَّ قبلك واختفى ، ومن قاتل دون نفسه حتَّى قُتل أو نجا ، وافعل كما فعلوا.

فاستعدد للقتال من الآن ، وأعدد ما استطعتَ من قوَّة ، فقد أقبل العدوُّ الصائلُ بقوَّاته ، وها هو يتهدَّد ويوعِدُ ، ويُزبِدُ ويُرعدُ ، فلا يلقَ منكَ إلاَّ الإباءَ والقُوَّة ، ولا يصل إليكَ وعينُكَ تطرف.

واعلم أنَّ قتالك من يُقاتلك ويأتي للقبضِ عليكَ مشروعٌ من وجوه كلٌّ منها كافٍ في المقصودِ مستقلٌّ بالدلالة عليهِ :

الأوّل: الدفاع عن النفس ، حيثُ لا يلزمك الاستسلام لظالمٍ ، ولا تسليمه المال فضلاً عمّا هو أنفسُ.

الثاني : الامتناع عن جريان حكم الكافر المرتدِّ عليك ، فالإسلامُ يعلو ولا يُعلى.

الثالث : الامتناع عن جريان حكم الكافر الأصليِّ عليكَ ، إذ لا فرقَ بين الاستئسار له أو لوكيله.

الرابع : حفظ أسرار المجاهدين ، وأمنيّات التنظيم الجهاديِّ.

الخامس : الفرار من الفتنةِ والتعذيب والنكال في السجن.

بل مقاصد الشريعة وأصولها ونصوصها ، ومآخذ الأحكام وعللُها ومناطاتُها : متواردةٌ على هذا الأصلِ ، متّفقةٌ عليهِ ، مجتمعةٌ فيهِ ، فلا نامت –بعد هذا– عينُ الجبان.

نسأل الله أن ينصر المجاهدين ، ويعزّ الإسلام والمسلمين ، ويذلّ الشِّرك والمشركين ، وأن يدمّر أعداء الدين ، من اليهود والصليبيين والطواغيت المرتدين ، ونسأل الله أن يرزقنا الشهادة في سبيله مقبلين غير مدبرين ، ونسأله سبحانه حُسن **الخاتمة**.

وصلى الله وسلم على عبد ورسوله محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تم بحمد الله لسبعٍ بقينَ من رجبٍ الفرد عام أربعةٍ وعشرين وأربعمائةٍ وألفٍ.

عبد الله بن ناصر الرشيد